GIEM

تبني الاقتصاد الإسلامي

كاستراتيجية التغيير لنظام عالمي جديد

جمعية شعوب أوراسيا أنموذجا

تبني الاقتصاد الإسلامي كاستراتيجية التغيير لنظام عالمي جديد

- جمعية شعوب أوراسيا أنموذجا -

د. سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

@ FB , LinkIn , Youtube

كلمة سيلقيها رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية في مشروع برنامج نقاش شراكة أوروبية كبرى، والمنعقد في جمهورية مصر العربية في ١-٢-٢٠٢٣.
تنظيم: جمعية شعوب أوراسيا، تحت شعار: أيام جمعية شعوب أوراسيا

إن التدافع هو سنة من سنن الله تعالى، وينجم عنه التمييز، ليبقى ما ينفع الناس وليذهب غيره، ويشهد التاريخ تدافعات كثيرة هي أشبه ما تكون بالمد والجزر، ويعدُّ المؤرخ ابن خلدون أول من أوضح قيام الحضارات، فوضع معايير تُنبئ وتمهد بزوالها، ثم يتلوها فترة نشوء وظهور حضارات جديدة، ومثال ذلك: بينما أوروبا تتلاشى اليوم، فإن أوراسيا تتحد.

إن معيار البقاء منوط بإقامة العدل بين الناس، والاقتصاد الرشيد هو أحد أدوات تحقيق العدل، فأي اقتصاد يجب أن تتبناه جمعية شعوب أوراسيا؟

لقد تهاوى الاقتصاد الشيوعي وانسحب من الحياة وتبعه ربيبه الاشتراكي، أما من بقي على قيد الحياة كالصين مثلا، فقد غيرت جلدتها، فذهبت بزعامة رئيسها الحالي نحو رأسمالية الدولة[1] ففسرت الماء بعد الجهد بالماء، بينما يتأرجح الاقتصاد الرأسمالي متهاوياً أمام أزمات تعصف به يمنة ويسرة أشبه بالملاكم

[1] للمؤلف، النموذج الاقتصادي الصيني – شي جين بينغ يعيد اختراع رأسمالية الدولة، مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، ١٣-٨-٢٠٢٠، رابط.

الذي ينتظر الضربة القاضية ليرتاح ويريح الناس من مآسيه، خاصة وأن رموز الرأسمالية جميعها قد انهارت بما فيها مدرسة شيكاغو النقدية[1]؛ فالاقتصاد في ظل النظام الرأسمالي يلزمه كل ثمانين سنة اصطناع أزمة عاصفة تكنس الفقاعات[2] التي تعاظمت بسببه وعطلت حياة الناس وضيعت أموالهم، وليست رؤية[3] دافوس ببعيدة.

لقد برزت نجاعة الاقتصاد الإسلامي عندما أظهرت مؤسساته تماسكها إبان الأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨، لذلك يمكن اعتباره الاقتصاد الدافع، فهو اقتصاد وسطي لا يجنح للعامل والفلاح ولا يجنح لرب العمل ورب المال، وهو اقتصاد رشيد لا يقبل بالتدخل السافر، ولا يقبل بمبدأ دعه يعمل دعه يمر، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منع تشويه ظروف العرض والطلب قبل أن يدعو للحرية الاقتصادية فقال: (**لا يبع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض**)، كما أنه لا يقبل بالميل نحو القطاع العام ولا للقطاع الخاص ولا يدعو للخوصصة، بل يدعو لرقابة سوقية يسبقها ضوابط حاكمة للسلوك ضمن خطوط عريضة غير معرقلة لحياة الجميع فقراء وأغنياء، محققا المسؤولية الاجتماعية النافعة.

وبناء عليه، لا يمكن التسليم للتجارب الاجتماعية حيث التعلم بالممارسة لقيادة الشعوب، فتكلفة هذه التجارب باهظة وضحاياها كثيرون وأغلبهم أبرياء لا ناقة لهم ولا جمل، أما الاقتصاد الإسلامي فهو منبثق من شريعة ربانية لم يدخلها الباطل أو التحريف، وهو اقتصاد يميل للطرف الأضعف، فتراه يمنع احتكار المؤسسات والشركات لضروريات الناس، كما يمنع المستهلكين من تشكيل احتكارات تتحكم بظروف العرض والطلب وتشوه بيئته.

جمعية شعوب أوراسيا:

تعدُّ الجمعية شكلاً من أشكال التدافع، ويتوقع لها البعض أن تكون عنوان الحضارة في القرن الحالي، وأن تكون المُوازن الجديد بين القوتين أو القطبين المتهالكين، على الرغم من اختلاف وتباين الرؤى المختلفة

---

1 للمؤلف، كلمة رئيس التحرير – المذهب الاقتصادي لمدرسة شيكاغو النقدية هل هو مذهب الأشرار؟ (ميلتون فريدمان) أنموذجا – العدد ٥٧-٢٠١٧، مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية، رابط.

2 للمؤلف، السياسات النقدية والمالية والاقتصادية - المثلث غير المتساوي الأضلاع بنظرة إسلامية، كاي للنشر، ط ١، ٢٠٢١، ص ٢٥٨، رابط.

3 للمؤلف، المنتدى الاقتصادي العالمي مسؤول عن إعادة التعيين الكبرى / و نداء المنتدى الاقتصادي العالمي؛ انهيار إعادة التعيين الكبرى / و أفكار حول إعادة التعيين الكبرى كوفيد ١٩ طبقا لكلاوس شواب وتييري ماليريت، رابط.

للنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لدولها الحالية وللدول التي ستنضم لها، فالعيش المشترك ليس شأنًا عاديًا.

لقد شهد العالم مؤخرًا انكفاء العولمة نحو دولها، فغيّرت الدول مفاهيمها المنفتحة نحو العولمة لتعود من حيث بدأت تعظّم مصالحها غير آبهة بمصالح غيرها، وقد فعلتها الولايات المتحدة الأمريكية إبان حكم ترامب وضحّت بأهم حلفائها من أوروبا وتركيا ودول الخليج، وفعلتها بريطانيا التي ضحت بعضويتها بالاتحاد الأوربي، وشهد العالم صعود تيارات يمينية متشددة في أغلب دول أوربا، والهند وغيرها، حيث كشّرت عن تطرفها على أساس إيديولوجي غير سليم، ونقول غير سليم لأن المجتمعات جربته عبر التاريخ وفشلت به.

لقد جربت الناس التجمّع على أسس مختلفة – فشل أغلبها –، فتجمعوا على أساس الجغرافيا حيث استقرت حدود الدول بما يحيطها من عوامل طبيعية كالبحار والجبال والوديان والأنهار، ومجموعة شعوب أوراسيا؛ وهي تجمع جغرافي على أساس اليابسة، كما تجمّع الناس على أساس الفرض بالقوة سواء بفعل الاستعمار أو الحروب، كما فعلت الدول الاستعمارية ببعض الأماكن كاتفاقية سايكس بيكو التي قسّمت الشرق الأوسط، وحصل مثلها في اوروبا وغيرها. كما تجمّع الناس على أساس الاستعمار والفصل العنصري كما كان الحال في الولايات المتحدة الأمريكية وجنوب إفريقيا، وأضاف الكيان الإسرائيلي البُعد الديني للبعد الاستعماري، فجمعوا فئة من شتات اليهود في فلسطين – وهي آخر دولة محتلة في العالم حتى الآن – فخلطوا العامل الأيديولوجي مع الفصل العنصري، وهذا ما لن يستقر أبداً.

العولمة: لقد تكيفت المؤسسات السياسية العالمية بطريقة نفعية لخدمة الشركات المتنامية ومشاريعها التي فاق حجمها حجم دولها، فصارت دولهُا لا تتَّسعُ لها، فبدأ عهد جديد من الرأسمالية المتوحشة، وبدأ ما يُسمَّى بعهد العولمة، حيث فُتحت الآفاق أمام الشركاتِ متعدِّدةِ الجنسيةِ وزالت الحواجز أمامها، وباتت الأديان والثقافات عائقًا أمام هذه الشركات، وصار لابدَّ من إزالة هذه الحواجز بوصفها عقَبةً في وجه هذا المارد المادي، مما أدَّى إلى إحداث تغييراتٍ اجتماعيةٍ لتعديل بعض عناصر المحيط الاجتماعي. وقد أشار الرئيس الصيني في اجتماعه الأخير مع الرئيس الأمريكي لهذا الأمر، وكذلك فعل الرئيس الروسي مؤخراً في أحد خطاباته.

الإقليمية: ظهرت عدة اتحادات وكيانات عالمية منها ما يجمعها الجغرافيا أو المصالح أو التاريخ واللغة، ومثاله: الاتحاد الأوربي، ومنظمة الدول التركية، والاتحاد الروسي، وها هو الاتحاد الأوراسي (حديثًا): وهو اتحاد اقتصادي أوروبي آسيوي، يتألف من سبعة دول هي: أرمينيا، وروسيا البيضاء، وكازاخستان، وقيرغيزستان، ومولدوفا، والاتحاد الروسي، وطاجيكستان، والذي تمثل بمجموعه ١٪ من مساحة العالم، وعدد سكانه ٢.٥٪ من سكان العالم وأكثر من ٢٢.٢٪ من الناتج المحلي العالمي (الجدول أدناه).

وتسعى هذه المجموعة إلى استقطاب مزيد من الدول لتشكل قارة ذات تأثير فعال، وها هي الصين قد عدلت شعارها ليكون (الحزام والطريق) بدلا من (حزام واحد طريق واحد)، لأن الهدف تجاوز الحزام الواحد والطريق الواحد بين المحيطين الأطلسي والهادي.

	البلد	GDP	المساحة / ميل	عدد السكان	نسبة المسلمين
1	أرمينيا	13.86	11,484	2,791,000	0.1%
2	روسيا البيضاء	68.21	80,155	9,340,000	2.0%
3	كازاخستان	197.1	1,052,000	19,000,000	70.2%
4	قيرغيزستان	8.54	77,182	6,692,000	90.0%
5	مولدوفا	13.68	13,068	2,615,000	0.6%
6	الاتحاد الروسي	1,779	6,602,000	143,400,000	11.7%
7	طاجيكستان	8.74	143,100	8,000,000	98.0%
	نسبتها لل GDP العالمي	2.22%			
	نسبتها لمساحة العالم		1.00%		
	نسبتها لسكان العالم			2.50%	
	نسبتها لإجمالي السكان				23.00%

احصائيات عام ٢٠٢١ لبلدان أوراسيا – المصدر: الويكيبيديا

الوطنية: هي الحالة التي تشكلت على إثرها مختلف الدول التي يجمع بينها الوطن، بالمعنى الجغرافي أو التاريخي بما فيه اللغة، أو حتى الايديولوجي. وتتغير تلك الحالة الوطنية باستمرار، فتاريخيًا تنقسم دول وتتجمع أخرى، والأمثلة كثيرة في العالم، والتغيير مازال قائمًا، ومثاله الحرب الروسية الأوكرانية، وكذلك حالة إقليم كشمير.

استعصاء المشاكل العالمية ضمن النظام العالمي القائم:

إن حلول المشاكل التي يحتار العالم في تطبيق مختلف الأنظمة لحلها، هي موجودة في الاقتصاد الإسلامي منذ ما يربو على ١٤٠٠ عام. ومثال ذلك:

حَدد مؤتمر الأرض الذي عقدته الأمم المتحدة عام ١٩٩٢ في البرازيل مشاكل العالم المزمنة، وكان المجتمعون – وهم زعماء العالم آنذاك – يهدفون إلى دراسة المشكلات والمخاطر البيئية ومعالجتها، بغيةَ إصلاح ما أفسده الإنسان في هذا الكوكب بتصرُّفاته غير الرشيدة من هدرٍ للموارد الطبيعية وتلويث للبيئة[1]، وقد خرج المؤتمر بعدة اتفاقيات، تلخصت أهدافه بإيجاد تعاونٍ دوليٍّ (بسبب عجز أية دولة عن تحقيق ذلك بمفردها، وهذا ما يتناسب والتجمعات الإقليمية الكبيرة) للوصول إلى التوازن المنشود بالآتي:

- إشباعُ الحاجات الأساسية، وتحسينُ مستوى المعيشة للمجتمعات.
- حماية وإدارة الأنظمة البيئية بشكلٍ عقلانيٍّ.

وحيث أن التنمية المستدامة (التي تعتبر من مسؤولية الحكومات) تحتاج إلى مشاركة شعبية فعلية بشكل واسع إضافةً إلى مشاركة المنظَّمات غير الحكومية، وقد توصَّلَ العالم بمؤتمراته المشار إليها إلى ضرورة التحرر من الحدود المصطنعة وإشراك الحكومات والشعوب معًا؛ وهذا ما كان إبان الخلافة الأموية ثم العباسية وكذلك العثمانية، فالعباسية احتوت مناطق من آسيا وأوروبا وإفريقيا أكثر بما يتجاوز هدف جمعية الشعوب الأوراسي.

إذًا، أجمع أصحاب التجارب الحضارية على ضرورة إشباع الحاجات الأساسية للإنسان وحماية بيئته، بعد أن طغت النظرة المادية عليهما ونشرت الفقر والبطالة وأفسدت البيئة بمختلف مكوناتها.

لقد تلخصت الأهداف الاجتماعية والاقتصادية لهذا المؤتمر بالآتي: القضاء على الفقر، ومكافحة التصحُّر والجفاف، وتغيير أنماط الاستهلاك، وحماية الصحة البشرية، وحماية الغلاف الجوي، والإدارة المستدامة للموارد الأرضية، ومكافحة قطع الغابات بشكلٍ جائرٍ، والتنمية الريفية، والمحافظة على التنوُّع الأحيائي، ومعالجة المخلَّفات الخطرة والنفايات الصلبة والمياه الصناعية والإشعاعات الذرية.

[1] للمؤلف، فقه المحاسبة الاجتماعية، الطبعة الثانية، كاي للنشر، ٢٠١٣. رابط.

لكن، وبعد مرور عشر سنواتٍ على مؤتمر الأرض، جاء تقرير البنك الدولي للتنمية لعام ٢٠٠٢ تحت شعار (بناء المؤسَّسات من أجل الأسواق) وهو يشير بذلك إلى أن الاقتصاد ورواج الأسواق؛ بوابة الحل.

ثم جاءت مقررات مونتريال لتمويل التنمية المستدامة عام ٢٠٠٣ بعد تقييم ما نتج عن قمة العالم بشأن التنمية المستدامة، لتظهر أن هناك حاجة ماسة لموارد مالية مستدامة لتنفيذ المقررات بشكل حقيقي.

إن الثابت فعليًا هو أن فترة قيادة الغرب للحضارة العالمية قد آذت كوكبَ الأرض وسكانَه وما يحيط به، فأدت إلى:

١. زيادة فقر كثير من الناس، ونحن نعيش اليوم تضخمًا كبيرًا في أسعار السلع الأساسية طال الدول النامية والمتطوِّرة على حدٍّ سواءٍ، بسبب أخطاء السياسات الكلية للدول وشيوع مفاهيم مدرسة شيكاغو النقدية وسياسة البنك الدولي في تطوير النظم الضريبية للدول الفقيرة لتحسين متحصلاتها.

٢. زيادة حدَّةِ الحروب باستخدام وسائلَ أكثر تدميرًا، فالقرن العشرين هو أوج المدنية الغربية، وهو أيضًا أكثر القرون دمويةً وظلمًا، ويبدو أن القرن الواحد والعشرين ليس أحسن حالاً، فقد بشّر الرئيس الروسي وغيره بأن حربًا عالمية صارت ضرورية لكنس بقايا الأنظمة الفاسدة في كل مكان.

٣. زيادة تأذي البيئة، ومثال ذلك:

- ازدياد قطع الأشجار وزيادة نسبة التصحُّر وتلوث الفضاء والماء، واختلال التوازن الأحيائي.
- أدت بعض الاختراعات الحديثة إلى ازدياد الكوارث الطبيعية كالزلازل والبراكين، والفيضانات والحرائق والانجرافات، إضافة لخلل طبقة الأوزون.
- خلَّفت الصناعات أخطاراً لم تكن معروفة من قبل، كالنفايات الصلبة والمواد المشعَّة وغيرِها.
- استنزفت الثرواتُ المعدنية والبترولية، وزاد استهلاك الكهرباء والماء.

الأنموذج المقترح:

إن أنموذج الخلافة الأموية والخلافة العباسية اللتان امتدتا جغرافيًا لأزمنة طويلة جمعتا في ظلهما دولا وشعوبا وجماعات وأقليات دون صهرها بقالب معين ودون فرض إيديولوجيا محددة، فُتحت فيها الحدود وساد العدل وانتقل الأشخاص والأموال والسلع بحرية دون أية عقبات. وساد هذا النموذج فترة طويلة

لأكثر من ألف عام، بما فيها جزء من الخلافة العثمانية، حيث طُبق اقتصاد انبثقت أسسه وقواعده من الشريعة الإسلامية، سُميّ في الفترة الأخيرة بالاقتصاد الإسلامي تمييزاً له عن غيره.

وتميّز الأنموذج المقترح باستقرار نقدي ومالي واقتصادي لم يشهد أية أزمات حادة كما هو حال القرن الحالي والماضي الذين تَوجا عهد النظم المادية، كتطرّف بعضها نحو العامل والفلاح وتطرف البعض الآخر نحو الإقطاعي وملكيته للأراضي، أو نحو رأس المال.

السياسة المالية:

بُني نظام بيت المال أو وزارة الخزانة، على أساس نظرية الإيرادات حيث خُصصت لبيت المال موارد[1]، منها الخراج الذي يقابل أجرة الأرض، فالدول تملك أغلب أراضيها، ويعتبر إحياء الأرض الموات شكلاً من أشكال مكافحة التصحر، أما خراج الأرض المحُياة فهو مورد لبيت المال، وقد سماها الخليفة عمر بن الخطاب (جرية بيت المال: أي حساباً جارياً مستداماً لوزارة الخزانة)، ومنه يكون الإنفاق الحكومي إضافة لاستثمار أموال الدولة وهذا يطابق استثمار الصناديق السيادية.

وحارب الإسلام الاعتداء على المال العام، وهو ما عُرف بالغلول: أي الفساد في المالية العامة، وجعل لفاعله العذاب في الدنيا والآخرة، وحارب الرشوة بوصفها أداة الغلول وأكل أموال الناس بالباطل. وحظر أكل أموال الناس بالتقرب للحكام للتحايل على أموال الناس برشوة الحكام واستغلال منصبهم.

وحرّم الضرائب، ليكون الفصل بين السياسة المالية الحكومية والسياسة المالية للأفراد الذين تُكلّفهم الشريعة الإسلامية بالزكاة، المبنية على نظرية النفقات حيث حدد الله تعالى مصارفها الثمانية التي يجمع بينها الفقر والحاجة.

وينسجم نظام الخلافة مع البنية المالية لنظام الزكاة حيث يسود مبدأ التخصيص المالي فتوزع أموال الزكاة في المنطقة ذاتها التي فيها مستحقيها، ويُمنع (الثني: أي الازدواج في دفع الزكاة)، أما الفائض – إن وجد – فيعاد لبيت المال المركزي الذي يُحيله لأقرب نقطة جغرافية حتى يتم كفايتها وهكذا إلى أن يختفي الفقر من بلاد الخلافة. وقد حصل ذلك فعلاً في الخلافة الراشدة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحصل في الخلافة الأموية زمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وسطّر التاريخ بأن المال وزع على مستحقيه كلهم، حتى اغتنى الناس وزُوّج العزاب وجُعلت رواتب للصغير والكبير حتى بلغ الأمر

[1] للمؤلف، سياستا تحصيل الزكاة وإلغاء الضرائب الماليتين، كاي للنشر، ٢٠٠٨-٢٠١٣، رابط

بالخليفة عمر بن عبد العزيز الذي قال لعماله: انثروا القمح على رؤوس الجبال لكيلا يُقال جاع طير في بلاد المسلمين.

وبما أن الزكاة يتم استخراجها سنويا، فهي تمويل مستدام للقضاء على الفقر الذي عجز عنه البنك الدولي والذي قرر تغيير شعاره: (من أجل عالم خال من الفقر) ليكون ثانويًا على صفحات موقعه الداخلية بعدما أبقاه سبعين سنة على صفحته الرئيسة، كما يتجاوز هذا الحل مقررات مونتريال لتمويل التنمية المستدامة المشار إليه أعلاه.

السياسة النقدية:

حرّمت الشريعة الإسلامية الربا لأنه اعتداء على المال العالمي والمحلي، وحرمت البيوع الوهمية، وحرمت القمار بأشكاله، وحرمت الاعتداء على النقد عمومًا سواء بغشه أو احتكاره أو المضاربة به بغية التضييق على الناس، وإن التحوط بأسعار الصرف الآجل فيه اعتداء على كتلة النقود لأنه ضخ لعرض النقود m2، وهذا ما نهى عنه الإسلام وحصره بشرطي التقابض والمجلس[1].

لقد جاءت الأزمة المالية العالمية عام ٢٠٠٨ لتوضح علل تلك التحريمات وأسبابها[2]، فصارت فاضحة على رؤوس الأشهاد، حتى أشار البابا بندكت السادس عشر وغيره من الاقتصاديين والكتّاب لأهمية التمويل الإسلامي لتحقيق الاستقرار المحلي والعالمي على السواء.

ويعدُّ قرار روسيا بالتحول عن الدولار، قراراً استراتيجيًا يجب استغلاله، كما يُعدُّ قرار السعودية بالتحول عن البترودولار تغييراً استراتيجيًا يتكامل والخطوة الروسية.

وإن ما صلح للفترات الطويلة للخلافة الراشدة والأموية والعباسية وحتى العثمانية يصلح تماما لدول منطقة أوراسيا، ولا يستلزم ذلك إسلام من يتعامل بالاقتصاد الإسلامي بل يمكن تطبيق مذهب الاقتصاد الإسلامي كما كان يفعل كل من عاش في ظل تلك الفترات من جميع الأطياف بسلام وأمان.

لقد تحدى الله تعالى استمرار أي تجمع بعيداً عن تعليماته، فقال: **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** (الأنفال: ٦٣)، فخالق الناس أعلم بهم وبكيفية جمعهم، فلو أنفق الناس مالاً بقدر كل الأرض فلن يستطيعوا التأليف بين بعضهم لكن الله قادر على ذلك.

---

1 للمؤلف، أنموذج عرض النقود من وجهة نظر الاقتصاد الإسلامي، ٢٠١٠، رابط.
2 للمؤلف، ضوابط الاقتصاد الإسلامي في معالجة الأزمات المالية العالمية، كاي للنشر، ط ٤، ٢٠١٤، رابط.

لقد خلق الله تعالى الناس شعوبا وقبائل لتتعارف فيما بينها لا لتتقاتل وتتناحر، قال تعالى مخاطبًا كل الناس دون تخصيص: يَاأَيُّهَاالنَّاسُإِنَّاخَلَقْنَاكُممِّنذَكَرٍوَأُنثَىٰوَجَعَلْنَاكُمْشُعُوبًاوَقَبَائِلَلِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْعِندَاللَّهِأَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّاللَّهَعَلِيمٌخَبِيرٌ (الحجر: ١٣).

حماة (حماها الله) بتاريخ ٢٦ جمادى الآخر ١٤٤٤ هـ الموافق ١٩ شباط فبراير ٢٠٢٣ م